رابعاً : المنطق البراجماتى عند ديوى فى ضوء الثوابت والمتغيرات

« إشكالية أمريكية – شرق أوسطية معاصرة »

د. زكريا منشاوى الجالى (*)

تمهيد

يتناول هذا البحث بالدراسة : "المنطق البراجماتى فى ضوء الثوابت والمتغيرات – إشكالية أمريكية شرق أوسطية معاصرة جون ديوى نموذجا " وذلك نظراً لأنه أصبح من المسلمات أن المنطق البراجماتى قد عمل على تشكيل العقلية الأمريكية المعاصرة، ووسمها بطابع خاص، بما يسمح بوصف هذا الطابع بكونه عقيدة لدى الأمريكان بعامة، ولدى صُناع القرار فى السياسة الأمريكية بخاصة.

كما أن تحريك الأمريكان للأحداث – وبخاصة فى منطقة الشرق الأوسط فى العقد الأخير من القرن العشرين والسنوات الأربع فى بداية القرن الواحد والعشرين – قد شكلت ظاهرة تستحق الدراسة، نظراً للنتائج التى ترتبت ومازالت تترتب على هذا المسلك الأمريكى، هذه الدارسة ينبغى أن تتمحور فى العديد من المجالات، العلمية والفلسفية والمنطقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية والجغرافية والتاريخية وغيرها من مجالات ولا أدرى إذا كانت هذه الأحداث لماذا لا تثير إشكالات بحثية لدينا؟ فماذا ننتظر ؟!

وإذا كان لدينا باحثين ومؤسسات بحثية فى كافة المواقع جغرافياً وكافة المجالات علميا، أفلا ينبغى أن تُبحث المسائل المتعلقة بإشكالية أمريكا ـ الشرق الأوسط المعاصرة لكى تتعدد الرؤى لدينا ولدى صُناع القرار

(*) مدرس المنطق وفلسفة العلوم – قسم الفلسفة كلية الآداب – جامعة حلوان.

عندنا، بدلا من غيابها فتضيع هذه الرؤى وتضيع معها الأوطان وذلك بانحصار المعرفة فى الكتب دون أن تؤتى ثمارها. التى جاءت كل هذه المؤسسات البحثية من أجل هذه الثمار، وقد سبق وأن ندد نقاد عصر النهضة الأوربية بالمعرفة الكتبية والتى قصدوا بها أن المعارف تكون كتبية إذا انحصرت فى الكتب فقط وإذ لم تساهم فى تغيير الواقع.

ونظراً لأن السياسة الأمريكية دأبت على رفع شعارات دون تطبيقها، فالمشكلة أصبحت تخص المفاهيم والتصورات، وثنائية المعايير كما هو واضح فى الأحداث اليومية ، والمواقف المتغيرة.

ومن ثم تكمن إشكالية هذا البحث فى الموقف البراجماتى من التصورات فى ضوء الثوابت والمتغيرات.

فهل ثمة علاقة بين الفكر المنطقى البراجماتى وغيره من نظريات منطقية ؟

وإن وجدت فما هى طبيعة هذه العلاقة ؟

وهل ينحاز هذا الفكر المنطقى إلى فكرة الثبات وبناء مفاهيم أو تصورات ثابتة ؟ أم أنه ينحاز إلى فكرة التغيّر ؟

وما النتائج المترتبة على ذلك ؟ وما المخرج لنا منطقياً وفكرياً ومنهجياً من هذا المأزق ؟ وكيف يتم ذلك ؟

وسوف نجيب عن هذه التساؤلات فى ما سنقدم من دراسة. والتى ستدور حول المحاور الآتية:

أولاً : الفكر القديم ما بين الثبات والتغيّر فى تفسير الطبيعة.

ثانياً : انتقال فكرتى الثبات والتغيّر من تفسير الطبيعة إلى المعرفة والمنطق.

ثالثاً : المنطق البراجماتى عند ديوى فى ضوء الثوابت والمتغيرات "المفاهيم والتصورات ".

رابعاً : تعقيب.

وسوف نورد قائمة بالمصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها فى نهاية البحث.

وتفصل ذلك كما يلى :-

أولاً : الفكر القديم ما بين الثوابت والمتغيرات فى تفسير الطبيعة.

1- فكرة الثبات قديمة كمحور لتفسير الطبيعة :-

لقد تعامل الفكر القديم مع فكرتى الثوابت والمتغيرات تعاملاً جاداً أثار العديد من الإشكالات ويُعد بارمنيدس Parmenides (539 – 474 ق. م) زعيم المدرسة الإيلية Eléà [1] من أوائل الذين أثاروا مسالة الثبات والتغيّر، وذلك على مستوى الوجود الطبيعى المادى، وليس بالمعنى المطلق، وكانت نظرته تعنى كمال هذا العالم وكرويته وسكونه وبقائه على حاله أزلاً، ويُعد هذا أول معنى للثبات والثوابت، مما ترك أثراً بالغاً على السقراطيين إلى يومنا هذا.

ولقد أدرك هذا الفيلسوف إدراكاً قوياً بالوجود المنبث فى كل شىء، والذى لا يخرج عنه شىء، فأكد الوجود تأكيداً مطلقاً، وقال أنه ملء كل شىء وليس فى العالم المادى إلا الوجود فهو كل، واحد متصل، أزلى وكامل، ولكماله هو ساكن سكوناً تاماً فلا يجوز أن يتغير أو يصير إلى أفضل أو أسوا، وكذلك هو الموضع الوحيد الذى يدركه العقل، ولا يدرك شيئا خارجاً عنه ومغايراً له كالتغيّر والصيرورة والعدم والفراغ [2] وبارمنيدس يؤكد على الثبات والوحدة ويذهب إلى أن وراء التغيّرات الظاهرية توجد ضرورة وقانون ثابت، ذلك لأن هناك وحدة ووجوداً ثابتاً ، وعلى ذلك فإن الحركة والكثرة ليستا سوى عرضين ظاهريين،

---

(1) المؤسس الحقيقى للمدرسة الإيلية بجنوب إيطاليا وقد سبقه أكسانوفان ولد فى جنوب إيطاليا حوالى عام 539 ق .م، وتقابل فى أثنيا بسقراط الشاب وكان عمر بارمنيدس يقرب من الخامسة والستين عاماً وتأثر به سقراط واعتنق الفيثاغورية فى البداية لكنه عدل عنها إلى مذهبه الخاص الذى ضمنه قصيدة شعرية نقلها لنا سمليقيوس وقد ضمت المدرسة الإيلية كل من أكسانوفان وبارمنيدس وزينوس وميليسوس. انظر:

I E. Brehier. History de la plilo. I am IP .58

قارن : د. محمد على أبو ريان ، تاريخ الفكر الفلسفى، جـ1، دار المعرفة الجامعية ط5، الإسكندرية، 1972، ص75.

(2) j . Burnet .Early Greek philosophy 2 nd. ed. lodon .1909 P. 172.

وليس هناك قانون للوجود الحقيقى غير الوحدة الشاملة والثبات الدائم.

وقد دعم هذا الاتجاه ودافع عنه تلميذه زينون الإيلى zenon (490 – 420 ق. م) الذى يُعد ممثلاً لوجهة النظر النقدية للمذهب الإيلى، فضلاً عن اعتباره مؤسس فن الجدل، أى الاستدلال الذى يستند إلى مبادئ مستمدة من مسلمات الخصوم.

وقد أبدى زينون مثبتاً أن القول بالكثرة والحركة يؤدى إلى مُحالات، أى تؤدى إلى نتائج تناقض دعاوى الخصوم، مستخدماً فى ذلك برهان الخلف فى حججه الجدلية لإثبات امتناع كل من الكثرة والحركة [1].

وبارميندس يؤكد على الثبات والوحدة ويذهب إلى أن وراء التغيّرات الظاهرية توجد ضرورة وقانون ثابت، وذلك لأن هناك وحدة ووجوداً ثابتاً، وعلى ذلك فإن الحركة والكثرة ليستا سوى عرضين ظاهريين، وليس هناك قانون للوجود الحقيقى غير الوحدة الشاملة والثبات الدائم.

وبمجىء مليسوس – تلميذ زينون ويصغره بحوالى اثنى عشر عاماً والذى ـ انتقد الطبيعيين الأوائل لأنهم يقولون بالتغيّر اعتماداً على الحس، والحس كاذب لأنه يوقفنا على الكثرة المتغيرة فى الوجود، فى حين أن العقل يشهد بأن الوجود واحد وثابت، ولو كان التغيّر صحيحاً لأدى ذلك إلى انعدام الوجود فى كل مرات تغيره، وبذلك يخرج الوجود من اللاوجود، وهذا ما ينكرونه، ولذلك فالتغيّر ممتنع والكثرة ممتنعة والوجود واحد لامتناه ساكن ثابت [2].

ويرى معظم الباحثين أن موقف الصراع بين فكرتين هما الوجود من جهة والحركة أو التغيّر من الجهة الأخرى، المتمثلة فى موقف العداء نحو

(1) يلاحظ أن زينون قام بنقد الفيثاغورية الذين يقولون بأن الموجودات مؤلفة من أعداد أى من وحدات منفصلة وبذلك يثبتون الكثرة إلى جوار الحركة. وهذه إشكالية بين فكرتى الاتصال (الإيليين) والانفصال (الفيثاغوريين) ولمزيد من التفصيل حول حجج زينون هذه عن الكثرة والحركة انظر: د. محمد على أبو ريان، المرجع السابق ، ص 78، ص79.

(2) نفس المرجع، ص 82.

الحركة أو التغيّر الذى وقفه بارمنيدس منذ بداية الأمر ثم دفعه من بعده إلى أقصاه تلميذه زينون الإيلى والذى طبع الفكر الفلسفى إلى اليوم بطابعه، ذلك لأن فكرة ما هو حقيقى أو واقعى هو عبارة عن ما لا يتغير، وهذه الفكرة هامة جدا ذلك لأن هناك جواهر أو ماهيات ثابتة لا تتغير مسألة من أهم مسائل الفلسفة الدائمة الأزلية Perennial Philosophy الكامنة وراء كل الفلسفات العظمى والمؤثرة حتى يومنا هذا [1].

وعلى الرغم من أن دعاة الثبات، أو الذين فسروا الطبيعة على أساس فكرة الثبات كفكرة محورية أرادت أن توضح جوهرية الأشياء وثباتها، على الرغم أيضاً من التغيّر الظاهرى الماثل أمام الناس إلا أن النظرية انتقلت فى ما بعد من الوجود إلى المعرفة والمنطق.

2- فكرة التغيّر كمحور لتفسير الطبيعية :

التغيّر عكس الثبات ، والتغيّر لشىء ما هو إلا انتقاله من حالة كان عليها إلى حالة أخرى ، والتغيّر الدائم هو دوام هذا الانتقال من حالة إلى أخرى إلى ثالثة ورابعة وهكذا دون توقف.

والواقع أن هذا هو معنى التغيّر ، ذلك لأن التغيّر كمعنى موجود فى المعاجم الفلسفية يأتى معناه متقدم نسبياً على المستوى الحضارى (كما مورس بالفعل) فنجد معنى المتغير Variable بأنه عبارة عن مصطلح رياضى أساساً ويُراد به الكم الذى يمكن أن يتخذ قيماً مختلفة.

أو هو حد غير معين قابل لأن تحل محله على التبادل حدود مُعينة مختلفة هى قيمته [2].

والقابلية للتغير variability هى قدرة الكائن أو النوع على الموافقة أو الملاءمة بحسب البيئة، وهو مصطلح فى أساسه بيولوجى، وكثيراً ما يستعمل

(1) د. محمد ثابت الفندى ، المرجع السابق ، ص 97.

(2) المعجم الفلسفى، الصادر عن مجمع اللغة العربية، تصدير د. إبراهيم مدكور، الهيئة العامة للمطابع الأميرية القاهرة ، 1983 ، ص 169 مادة : متغير.

فى دراسة سيكولوجية الطفل [1].

لكن المصطلح أساساً طبيعى استعمل فى تفسير الطبيعة على يد هيرقيلطس [2] (Heraclitus) (540 – 475 ق .م) والذى يرى أن الأشياء فى تغيرّ مستمر، وأن القانون العام الذى ينظم الوجود هو التغيّر وعدم الثبات والتجدد المستمر، فكل شىء فى سيلان مستمر، ولا يوجد شىء باق على الإطلاق وفى ذلك يقول : " كل شىء ينساب ولا شىء يسكن، كل شىء يتغير ولا شىء يدوم على الثبات، أنت لا تستطيع النزول إلى النهر الواحد مرتين لأن مياها جديدة تنساب فيه باستمرار، كما أن الأشياء الباردة تصير حارة، والحارة تصير باردة، ويجف الرطب ويتحول الجاف إلى رطب، والأشياء تجد راحتها فى التغيّر، كما أن الزمان طفل يلعب بالنرد والقوة الملكية قوة طفل[3].

ومن خلال هذه النصوص لهيرقليطس والمتمثلة فى الشذرات المذكورة يتضح لنا أن التغيّر هو الأساس فى الطبيعة وهو الموجود، ذلك لأن التغيّر هو

---

(1) نفس المرجع ، ص144 ، مادة : قابلية التغير.

(2) هيرقليطس فيلسوف ولد في أفسوس بأسيا الصغرى حوالى العام 540 ق. م وهو من أسرة أرستقراطية، عُين كبيراً للكهنة لكنه رفض المنصب وتوفى حوالى العام 475 ق. م قال عنه سقراط إن ما فهمه من كتاباته شىء عظيم وما لم يفهمه شىء عظيم بالمثل غير أن كتاباته تحتاج إلى غواص ماهر وشذراته المتبقية يمكن أن نجدها فى :

Freema. K : Ancilla to pre – Socratic philosophers

هيرقليطس، جدل الحب والحرب، ترجمة وتقديم وتعليق د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، 1980، ص39 وما بعدها فيليب ويلرايت هيرقليطس فى العالم اليونانى، ترجمة د. على سامى النشار، د. محمد على أبو ريان، د. عبده الراجحى، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

(3) هيرقليطس، الشذرات، ترجمة فيليب ويلرايت ضمن كتابه هيرقليطس فى العالم اليونانى، الشذرات من 20 حتى 26 .

وقد أوردها د. محمد على أبو ريان على هامش كتابه : تاريخ الفكر الفلسفى ، جـ1، ص67، ص 68 .

وكذلك هيرقليطس، جدل الحب والحرب، ترجمة د.مجاهد عبد المنعم مجاهد، شذرات رقم 91 ، ص94 ، 52 ص 65، 126 ص 98.

الحقيقة الوحيدة الباقية، وكل ما عداها يتغير، حتى أنك لا تستطيع أن تنزل النهر الواحد فى نقطة واحدة مرتين لأن مياها جديدة ستغمرك فى نفس النقطة باستمرار، كما أن الأشياء الباردة تصبح حارة والحارة تتحول إلى باردة، وهكذا الرطب والجاف لأن راحة الأشياء وطبيعتها فى التغيّر الدائم والمستمر.

كما أن التغيّر يؤدى إلى الصراع بين الأضداد، لأن كل شىء فى تحول مستمر من حالة إلى ضدها، فالشىء الواحد فى ذاته يتضمن الأضداد جميعاً، والصراع قانون العالم والتنازع أبو الأشياء فلا توجد أى صورة باقية، إذ أن كل شىء فى تحول مستمر من حالة إلى ضدها، فالشئ الواحد يتضمن فى ذاته الأضداد جميعاً، والصراع قانون العالم، وكل ما يتفرق ويتحطم يعود ليلتئم من جديد، وهذا عند هيرقليطس هو سر المعرفة فيقول : " لن يتسنى لهم أن يعرفوا معنى الحق لو كانت الأضداد غير موجودة " وعن حقيقة الأشياء المتضادة يقول " القوس يسمى الحياة ولكن عمله هو الموت " [1].

النسبية والتناقض :

يرى هيرقليطس أن الاختلاف يُجلب الائتلاف، ومن الاختلاف يأتى أجمل ائتلاف كما أنه "بالمرض تظهر الصحة وبالشر يظهر الخير بجلبه للسرور، وكذلك بالجوع يظهر الشبع، وبالتعب تظهر الراحة" [2].

---

(1) هيرقيطس ، جدل الحب والحرب، الترجمة العربية، ص 93 شذراتى 23، 48 .

(2) هيرقيطس، الشذرات، أرقام 98، 99 على هامش د. محمد على أبو ريان، المرجع السابق، ص71 .

على الرغم من أن موضوع بحثنا هو فكرة التغيرّعند هيرقليطس إلا أن فلسفته الطبيعية والأخلاقية وحرصه على عدم تشيؤ الإنسان وفكرة اللوجوس وفكرة النفس الجافة وضرورة الحب من أجل العدالة لهى أفكار هامة وجديرة بالدراسة انظر. هيرقليطس جدل الحب والحرب، ترجمة د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، 1980 .

وتكمن مبادئ فلسفة هيرقليطس فى خمسة مبادئ هى :

1ـ الوحدة المطلقة للوجود . 2ـ التغيرّ الدائم .

3ـ القانون العام الذى ينتظم بحسبه الوجود وظواهره؛

=

هذا على الرغم من أن الموجودات تبدو لنا فى الظاهر كما لو كانت ثابتة، ذلك لأنها تتلقى من جانب نفس المقدار الذى تفقده من الجانب الأخر، وذلك مثل الشمس فإنها تتجدد كل يوم لأن ما تفقده بالنهار تتلقاه فى الليل نتيجة للأبخرة المتصاعدة من البحار، والأشياء عند هيرقليطس من النار وإلى النار، لأنه إذا ما انتهت جميع الأشياء إلى النار الأصلية حتى لا يبقى فى العالم سوى النار، فعندئذ يكتمل دور من أدوار الوجود المتعاقبة، وتتكرر هذه الأدوار إلى مالا نهاية بحسب قانون ذاتى ضرورى ينتظم الوجود بأسره.

وعلى الرغم من أن هيرقليطس قد فسر الوجود أو الطبيعة على أساس فكرة التغيّر، فإنه قد ترتب على ذلك نتائج خطيرة بالنسبة للوجود والمعرفة، فإنه أيضاً قال بأن هناك قانوناً عاماً باقياً، وأن كل القوانين البشرية يغذيها قانون إلهى واحد، ومن ذلك يبدو لنا هذا القانون بمثابة العامل الثابت الذى يعمل على ثبات المفاهيم على الأقل.

وبذلك يتضح لنا أن فكرتىّ الثبات والتغيّر كانتا موجودتين على المستوى الفيزيقى وذلك لتفسيره، لكن هل ظلت هاتان الفكرتان على المستوى الوجودى أم انتقلتا إلى المستوى المعرفى والمنطقى ؟.

هذا ما سنحاول دراسته فى الخطوتين التاليتين.

ثانياً : انتقال فكرة الثبات والتغيّر من الوجود إلى المعرفة والمنطق :

لقد انتقلت فكرة الثبات من الوجود إلى المعرفة، وكذلك فكرة التغيّر، بل انتقلتا إلى الأخلاق والمنطق وغيرهما، ولقد شكلت الفكرتان التاريخ الفكرى فى ما بعد، ومازال أثرهما باقياً إلى الآن، إذ أن كلتاهما قد لعبت دوراً محورياً فى تشكيل النظريات المعرفية والمنطقية اللاحقة.

وجاءت الأفكار الثابتة للمفاهيم المعرفية على يد كل من سقراط

=

4ـ الصراع الدائم 5ـ الأدوار اللامتناهية المتعاقبة على الوجود. ـ الباحث.

وأفلاطون وأرسطو وجالينوس، وذلك فى مواجهة السوفسطائية دعاة التغيّر والنسبية، سنبدأ بالسوفسطائية، ذلك لأن كل من الفكر السقراطى والأفلاطونى والأرسطى إنما جاء كرد على السوفسطائية وتفصيل ذلك كما يلى :

1- انتقال فكرة التغيّر من الوجود إلى المعرفة على يد السوفسطائية [1].

لقد انتقل الفكر الفلسفى من البحث فى الطبيعة إلى البحث فى الإنسان، وكان من رواد هذا الاتجاه السوفسطائية وهم اللذين مارسوا السفسطة Sophism وهذا اللفظ مشتق من اللفظ اليونانى "سفزما Sephsema ومعناها فى البداية المهارة الفائقة ثم أصبح يدل من بعد ذلك على القول المموه أو القياس القائم على المغالطة، والسفسطة Sophlistics بالإضافة إلى ذلك فإنها تُشير إلى مسلك عقلى مشترك بين سوفسطائى اليونان.

وعلى الرغم من أن السوفسطائية قد هيمنوا على الفكر اليونانى إلا أنهم كما يرى ولتر ستيس Stace Walter لم يكوّن أى منهم مدرسة للفلاسفة، ذلك لأن أى منهم لم يُشيد مذهباً للفكر، وليس لديهم شىء مشترك، سوى بعض الاتجاهات الفكرية المفككة، وكذلك لم توجد رابطة شخصية لصيغة ما تربط أحدهم بالأخرين، كما نفهم الوضع بالنسبة للأعضاء فى المدرسة الواحدة، ويضيف ستيس لقد كانوا فئة محترفة لا مدرسة، وعلى هذا النحو كانوا

---

(1) عن أهم الشخصيات السوفسطائية وآرائهم ونظرياتهم انظر : د. عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ1 ، جـ 2، مكتبة مدبولى، القاهرة، 1999، مادتى بروتاجوراس، ص 283 ، جورجاس، ص 937 .
د. زكريا منشاوى الجالى، شروح الفارابى على كتب أرسطو المنطقية وأهميتها، رسالة ماجستير، آداب طنطا ، 1997 م ، صـ474.
وكذلك د. محمد على أبو ريان ، المرجع السابق ، ص101، ص104، ص105، ص106، وأهم الشخصيات السوفسطائية ، بروتاجوراس 481 – 411 ق .م، وجورجياس 483 – 375 ق . م بروديكوس وكاليكليس، وكريتاس .
وفى هذا يرى الباحث أن :

جورجياس وكاليكليس وكريتاس هؤلاء ... السوفسطائية غيروا الحقائق وأضلوا الناس
وبعملهم هذا طمسوا معالم الحق دومًا ... وغدت عقول البشرية العادية فى التباس

متناثرين فى جميع أنحاء اليونان، وكان دافعهم هو المنافسات المهنية، ولقد كانوا أساتذة ومربين محترفين، ويرجع ظهورهم إلى الطلب المتزايد على التعليم الشعبى الذى كان مطلباً أصيلاً من أجل الاستنارة والمعرفة فى جانب منه، لكنه كان فى الأغلب رغبة فى تعليم مثل هذه المعرفة المُغرضة التى تؤدى إلى النجاح الدنيوى والسياسى بصفة خاصة، وحمل انتصار الديمقراطية معه فكرة أن السياسة متاحة الآن للجماهير التى كانت محجوبة عنهم قبل ذلك [1].

ولكن كلام ولترستيس هذا مردود عليه إذ أن السوفسطائية مدرسة واتجاه ومذهب فلسفى ذلك لأنهم أثاروا أفكار متسلسلة، كما أن ردود سقراط وأفلاطون وأرسطو عليهم لم تكن لتكون لولا استحقاقهم هذه الردود ، فضلا عن الاتفاق العام فى ما بينهم.

وإذا كان ستيس يؤكد على أن السوفسطائية لم يكونوا فلاسفة بالمعنى الفنى لأنهم لم يتخصصوا فى مشكلات الفلسفة، وكانت نزعاتهم عملية تماماً، وهم يُعلمّون أى موضوع مهما يكن عندما تكون هناك حاجة شعبية لتعلمه، فأخذ بروتاجوراس فى تعليم مبادئ النجاح للفرد كسياسى أو كمواطن. وجيورجياس فى تعليم البلاغة والسياسة، وبرديقوس فى تعليم النحو والاشتقاق اللغوى، وهيبياس التاريخ والرياضة والفيزياء ويذهب مدللاً على رأيه أنه من الملاحظ أن هذا الاتجاه العملى لديهم جعلنا لا نسمع عن أى محاولة لديهم لحل مشكلة أصل الطبيعة أو طابع الحقيقة المطلق [2].

وهذا الكلام مردود عليه أيضاً ذلك لأن "ستيس" هنا يمارس السفسطة مثلهم، لأنه من المعروف أن السوفسطائية وسقراط قد اتجهوا بالبحث من الطبيعة إلى الإنسان، ومن الجانب الطبيعى للكون إلى الجانب الإنسانى والمعرفى والأخلاقى نظراً لأسباب معينة ومعطيات حضارية.

---

(1) ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، 1987، ص 78، ص79.

(2) المرجع السابق ، ص99.

ومن ثم فهذا الكلام لولتر ستيس مما لا ينازع فيه لأنه من البديهيات بالنسبة لدراسة تاريخ الفكر الفلسفى والمعرفى.

الهدف الأسمى للسوفسطائية :

يكمن الهدف الرئيسى عندهم فى سيطرة الفرد على الحياة وتوجيهه إلى امتلاك زمامها لتحقيق منفعته الشخصية فالغاية عندهم عملية نفعية بحتة [1]، ومن ثم انصب التعليم على ما يؤدى إلى النجاح السياسى فجاءت أهمية الفصاحة، وإذا تعذرت يؤتى بالحديث الجاهز، ومن ثم انصب الاهتمام إلى القدرة على الجدال لمواجهة أى قضية تُثار، إن لم يكن بالاستدلال القوى فبالإفحام السريع جاءت الخطابة (وهم مؤسسيها) بهدف اتباع ما يرغبون فى الاعتقاد فيه، ومن ثم فإنهم (وكما يقول ستيس) مثل المحامين لا يعبئون بحقيقة المسألة المعروضة [2].

هذا عن الوسائل التى تحقق غايتهم بالإضافة إلى تعليم الشباب وإلقاء المحاضرات العامة بطريقة مبسطة.

وبذلك تمكن السوفسطائية وتلاميذهم من فعل الآتى :

القدرة على تقديم الحجج حول أى موضوع من الموضوعات، أو البرهنة على أى قضية من القضايا.

شحذ الاستعداد للقدرة على تصوير الأسوأ ليبدو الأفضل، والأسود على أنه الأبيض وهكذا.

ليس العلم بموضوع الحديث ضرورياً لكى ندلى بإجابات مُرضية على أى سؤال (جورجياس)، إنما التلاعب بالألفاظ كفيل بحل هذه المشكلة .

تحيير الخصم والبلبلة عليه والتشويش، وإذا تعذر هذا يُلجا إلى التعمية بالتشبيهات الغريبة أو المنحرفة والتلاعب بالتراكيب النحوية الشاذة

---

(1) د. محمد على أبو ريان، المرجع السابق، ص 100.
(2) ولتر ستيس، نفس المرجع السابق، ص80.

وبالأمثال والجمل القائمة على التناقض الظاهرى.

الاتصاف بالمهارة والبراعة بدلا من الصدق.

إذا كانت سيطرة الفرد على الحياة بهدف امتلاكها هدفاً نهائياً لدى السوفسطائى فإن اللذة أيضا تُعد غاية لأفعال الإنسان، اعتقاداً منه بأن طبيعة البشر لا تعدوا إلا أن تكون شهوة وهوى، فقالوا : "لن تكون سعيداً متى خضعت لقانون فمن حقك أن تستخدم ذكاءك فى إشباع شهواتك وتحقيق سعادتك، وإن اقتضاك الحرص على مصلحتك أن تتخفى وتتظاهر بالتقوى والاستقامة [1].

وهنا يُعد السوفسطائى قناص، ولص يغافل الآخرين من أجل تحقيق مأربه، كما أنه أفاق ومخادع وحيوانى لأنه يُغلّب الجانب الحيوانى على الجانب الإنسانى لديه.

الإطاحة بالمعايير والثوابت :

يصور تراسيماخوس Thrasymachos رأى السوفسطائية بشأن المعيار الثابت للعدالة، والمعيار أو الميزان Criterion والذى هو عبارة عن ما تقدر به الأشياء والأفكار والحكم عليها، أو تقوم به الأعمال فهو شارة أو علامة تسمح بمعرفة الأشياء وقد تكون هذه الشارة باطنة يكشف عنها بالملاحظة أو التجربة أو بالنظر والتأمل [2] وبحسب السوفسطائية فإن العدالة لا تعدوا أن تكون مصلحة الأقوى [3] ويرى الدكتور توفيق الطويل أن معنى هذا أن العدالة تدور مع القوة وجوداً وعدماً ، فيكون التصرف الواحد عدلاً متى حقق مصلحة للأقوى، وظلماً متى لم يحقق مصلحة لضعيف [4]، وعلى ذلك نجد أن

---

(1) د. توفيق الطويل، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، ط4 ، القاهرة، 1979، ص 51.

(2) المعجم الفلسفى، الصادر عن مجمع اللغة العربية، تصدير د. إبراهيم مدكور، ص198 مادة ميزان.

(3) Plato ,The dialogues of Plato, English translation Repuplic. B .I.

(4) د. توفيق الطويل، المرجع السابق، ص 52.

السوفسطائية قد أطاحوا بكل الثوابت والمفاهيم والتصورات الثابتة لكى يثبتوا نظريتهم فى التغيّر والنسبية.

على فرض نقد هيرقيلطس للسوفسطائية :

لكن إذا ما حوكمت السوفسطائية من قِبل هيرقليطس على الرغم أن ذلك لم يتم تاريخاً وهم أخذوا عنه فكرة التغيّر، وتركوا باقى الأفكار، أخذوا ما يدعم مذهبهم وتركوا ما يعارضهم، فبعدوا عن الاعتدال الذى اعتبره هيرقليطس أكبر الفضائل وفى ذلك يقول :

"الاعتدال هو أكبر الفضائل والحكمة هى تنطق بالحق وتسلك بمقتضى الطبيعة وتتبع الاعتدال [1] " والاعتدال كما هو معروف عند هيرقليطس وغيره من مفكرى اليونان هو مراعاة حدود الأشياء وعدم تجاوز طبيعتها.

وبشأن حب السوفسطائية للشهوة واللذة نجد بالرجوع إلى هيرقليطس فيقول: "خير للناس ألا يحصلوا على كل ما يرغبونه [2] " وذلك لأن الرغبة تستهلك صاحبها، إنها أشبه بالخط اللامتناه كلما مر عليه إنسان بعدت عنه نقطة النهاية.

أما ما يخص المتع الرخيصة التى لا ترقى إلى متعة العقل فيقول : " لا تعربدوا فى الأوحال فإن الخنازير تستمتع بالأوحال أكثر مما تستمتع بالماء النقى [3] " ويرى أن الخنازير تغتسل فى الأوحال وتغتسل الطيور فى التراب أو الهشيم [4]، كما يرد على دعاة السعادة القائمة على الشهوة فيقول " لو كانت السعادة قائمة فى المباهج الجسدية لكان يمكننا أن نعد الثيران سعيدة عندما تجد علفاً تقتات به [5].

---

(1) هيرقليطس، جدل الحب والحرب، الترجمة العربية، ص 47. شذرة 112.
(2) نفس المصدر، ص 46 ، شذرة 110.
(3) نفس المصدر، ص 54 ، شذرة 13.
(4) نفس المصدر، ص 54 ، شذرة 37.
(5) نفس المصدر، ص 56 ، شذرة 4.

ويتعجب هيرقليطس من أصحاب النفوس الشريرة الذين يريدون التطهر من الدنس بالمزيد من الانغماس فيه، ويشبههم بالنيام الذين يسجدون لألهة من صنعهم وفى ذلك يقول: " إنهم يطهرون أنفسهم بأن ينغمسوا فى الطين لكى يغتسلوا من الطين، ولكن سَيُعد الإنسان مجنوناً إذا تصوره رفاقه وهو يتصرف على هذا النحو، زيادة على ذلك، أنهم يتحدثون لتماثيلهم التى يعبدونها، كما لو كان إنسان عليه أن يتحدث إلى مُنازله خلال جهله بطبيعة الآلهة والأبطال [1]".

وفى النهاية يحذر هيرقليطس أولئك الذين يزيفون شهادة الحواس طبقاً لمصالحهم وهم المتشئين "الذين تحولوا إلى أشياء " ومن ثم اكتسبوا ذواتا مُزيفة بحيث لا تصلح العيون والآذان لتوصيل المعارف الحقيقية، وفى ذلك يقول مترجم هيرقليطس: " أما من ليست لهم نفوس بربرية بل كانت لهم نفوس كلية ارتفعت من ذواتها والعوالم الخاصة إلى ذوات الآخرين، والعوالم الكلية فهى محصنة بالعقل. ومن ثم لا خوف عليها من شهادة الحواس [2] وفى هذا يقول هيرقليطس: " العيون والآذان شهود سيئة للناس إذا ما كانت لهم نفوس بربرية " [3].

وبشأن ما قاله بروتاجوراس فى ما بعد من غير الضرورى معرفة الإنسان عندما يتحدث عنه أو ما يسأل عليه كما تقدم ، فإن هيرقليطس يقول : "من الأفضل إخفاء الجهل وبالرغم من صعوبة القيام بهذا فى حالة الاسترخاء وساعة احتساء النبيذ [4]".

كما يُحى باللائمة على المتظاهرين بالحكمة فيقرر :"أن الإنسان المتظاهر بالحكمة لا يعرف، أو لا يحتفظ إلا بما يبدو ويظهر ، زيادة على ذلك فإن العقاب يحيق بناسجى الأكاذيب والشهادة الزور [5]" .

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أنه لو فرض أن الترتيب التاريخى انعكس،

(1) نفس المصدر، ص 60 ، شذرة 5.
(2) د. مجاهد عبد المنعم مجاهد ، نفس المصدر، ص 61.
(3) هيرقليطس، المصدر السابق ، ص61. شذرة 107.
(4) نفس المصدر، ص62 شذرة 95.
(5) نفس المصدر، ص 63 شذرة 28.

وجاء هيرقليطس بعد السوفسطائية لأطاح بكل أفكارهم ونظرياتهم ما عدا نظرية التغيّر التى قال بها لتفسير الطبيعية ، ونقلوها هم للبحث فى المعرفة الإنسانية .

وكأنهم قد قاموا بعكس هذه الأفكار التى قال بها هيرقليطس، وكأن حكمة هيرقليطس قد أطاحت بأفكارهم .

لكن لماذا قال هيرقليطس بالأضداد ؟.

وفى ذلك يقول : "لم يتسنى لهم أن يعرفوا معنى الحق لو كانت الأضداد غير موجودة [1] أى أن اللاحقيقة والحقيقة موجودتان" وهذا تأكيد على وجود الحق من قبل هيرقليطس وهو الموضوعية، لا كما ذهبت المدرسة السوفسطائية كما تقدم .

2ـ انتقال فكرة الثبات من الوجود إلى المعرفة والمنطق :

بعدما تبين لنا كيف انتقلت فكرة التغيّر من تفسير الوجود إلى تفسير المعرفة، الآن نحاول أن نبحث الاستعانة بفكرة الثبات فى تفسير المعرفة والمنطق. وجاء ذلك من خلال مواقف كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو وجالينيوس وتفصيل ذلك كما يلى :

موقف سقراط

لقد أفزع سقراط Socrate (حوالى 470 – 398 ق .م) [2] ما ذهب إليه

---

(1) نفس المصدر، ص63 شذرة 23.

(2) بشأن ذلك يرى د. عبد المنعم الحفنى فى الموسوعة أنه عاش حوالى (470 – 389) فى حين يحدد د. توفيق الطويل وفاته بعام 399 ق.م انظر د. توفيق الطويل ، فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها ، ص 46. ويعد أكثر فلاسفة اليونان تأثيراً فى الفكر اليونانى، وبه ينقسم تاريخ الفلسفة اليونانية إلى ما قبل سقراط وما بعده ، واعتبر شيشرون علامة فاصلة فى الفلسفة وقال عنه أنه أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أى أنزل الفلسفة من البحث فى الأفلاك والعناصر إلى البحث فى النفس وما يؤدى إلى خيرها د. عبد المنعم الحفنى ، الموسوعة الفلسفية.
جـ 1، ص736، ص737. مادة سقراط.

السوفسطائية فى نظريتهم للمعرفة التى ترتد إلى ديمقريطس + 361 ق. م فى إرجاع المعرفة إلى الإحساس، ومذهب هيرقليطس فى التغيّر المتصل وانتهوا من هذا إلى اعتبار الفرد مقياس الأشياء جمعياً كما قال أحد أعلامهم (بروتاجوراس + 410 ق. م) فأصبحت الحقائق وليدة الإحساسات والانطباعات الذاتية، وبطل القول بوجود حقيقة موضوعية مستقلة عن الفرد وظروفه، وتعددت الحقائق تبعاً لتعدد مدركيها والحالات التى تطرأ عليهم (النسبية للحقائق) ومتى امتنع وجود حق فى ذاته أو باطل فى ذاته أمكن أن يصدق النقيضان ويمتنع الخطأ [1] وقد مد السوفسطائيون نطاق نظريتهم الإبستمولوجية حتى شملت الأخلاق والسياسة، والمنطق كذلك، إذا أصبح الفرد مقياس الخير والشر، كما كان عندهم مقياس الصواب والخطأ، وإذا كانت الحقائق فى مجال المعرفة نسبية متغيَّرة وليست مطلقة ثابتة كانت القيم والمبادئ فى مجال الأخلاق نسبيه تتغيَّر بتغيرّ الزمان والمكان ، وتختلف باختلاف الظروف والأحوال ، وإذا أدت بنا هذه الحالة إلى نوع من الفوضى ، اقتضتنا الحكمة أن نؤثر فى مجال العمل ما يبدو لنا نافعاً، وقد برر السوفسطائية الظلم الذى كان آفة العصر ، وتحولت الفضائل إلى رذائل كما تحول الحق إلى الباطل والباطل إلى الحق .

وقد عمل سقراط على هدم نظريتهم فى المعرفة منطلقاً من فكرة الثبات، ففصل بين موضوع العقل وموضوع الحس، وحرص على تحليل الألفاظ لتحديد معانيها وإيضاح دلالاتها، ففوت على السوفسطائية الاعتماد على اشتراك الألفاظ وغموض معانيها، وصرح بأن ما يبدو للحواس من الأشياء هو أعراضها المحسوسة، ولكن وراء هذه الأعراض تقوم حقيقتها أو ماهيتها، وهى لا تُدرَك إلا عن طريق العقل الذى يستعين فى إدراك الماهيات باستقراء الجزئيات [2].

ولا شك أننا أمام أول اتجاه يحاول وضع وتصوير الحقائق الثابتة فى

(1) د. توفيق الطويل، فلسفة الخلاق، نشأتها وتطورها، ص48.
(2) د. توفيق الطويل ، نفس المرجع السابق ، ص49 ، ص50 .

المجال المعرفى الإنسانى، إذا وضعنا فى الاعتبار أن محاولة بارمنيدس كانت فى المجال الطبيعى (الوجودى) ومن ثم يُعد سقراط لا أرسطو هو واضع مبحث التصورات القائم على التعريف والتحديد ، وانتهى بسقراط إلى وضع الحقائق الثابتة المطلقة فى مجال المعرفة، وكان بذلك منشئ فلسفة المعانى أو الماهيات التى تمثلت بعده عند أفلاطون وأرسطو وجالينيوس.

تطبيقات سقراط لنظريته فى المعانى الثابتة :ـ

طبق سقراط نظريته الإبستمولوجية فى مجالات متعددة، مثل التصورات تحديداً وتعريفاً "المنطق فى ما بعد".

وفى مجال الأخلاق هدم النظرية السوفسطائية بتحليل المفهومات الخلقية لكى يتوصل إلى فهم دقيق للمعانى الأخلاقية العامة التى تصدق فى كل زمان ومكان، وبذلك توصل إلى القيم المطلقة فى مجال الأخلاق [1] ومن ثم عمل سقراط على إيجاد فكرة المقياس أو الميزان Standard or criterion الثابت لتقاس به صواب الأفكار أو خطئها أو خيرية الأفعال وشريتها، ولاشك أن هذا الموقف جاء كرد على الأحكام الجزئية المتغيرة النسبية. كما اتضح بالدراسة والميزان Criterion هو ما تقدر به الأشياء والأفكار والحكم عليها وقد تكون هذه الشارة باطنة يكشف عنها بالملاحظة والتجربة أو بالنظر والتأمل كما أن علم الموازين criteriolgy هو قسم من المنطق يبحث فى موازين الأحكام، ويسمى الغزالى المنطق كله: علم

(1) جاء ذلك فى المحاورات التى كتبها أفلاطون فى البداية وهى معبرة عن أراء سقراط مثل محاورة خارميدس charmides التى عرف فيها العفة والاعتدال omperance or modaration، ومحاورة ليسيس Lysis التى عرف فيها الصداقة ومحاورة "لاخس" عرف فيها الشجاعة وإذا كانت السوفسطائية قالوا باللذة فإنه قال بالسعادة.
لمزيد من التفصيل د. توفيق الطويل، المرجع السابق، ص50.

الميزان،[1] ويعد سقراط أول من أقام فكرة الميزان للحكم على الأشياء والمفاهيم فى المجال المعرفى .

كما أن سقراط قد طبق كل أفكاره فى حياته العملية على الرغم من أنها لم تجلب له المنافع وعرضته للأخطار[2] كما أن سقراط طالب بالحدود الجامعة المانعة.

2- موقف أفلاطون بشأن فكرة الثبات :

لقد تطور المذهب السقراطى على يد أفلاطون Plato حوالى (427 – 347 ق.م)[3]. إذ ساير أستاذه فى موقفه تجاه السوفسطائية إبستمولوجياً وأخلاقياً وتصورياً (أى منطقياً فى ما بعد)، لأنهم عندما أرجعوا المعرفة إلى الحس، قالوا بنسبية المعرفة وأطاحوا بالحقائق الثابتة فى مجال المعرفة وبالقيم المطلقة فى مجال الأخلاق، وترتب على هذا القضاء على القيم بأنواعها وهى الحق والخير والجمال.

ومن ثم بحث أفلاطون المعرفة من كل جوانبها، وانتهى إلى القول بأن وراء إدراك عوارض الأشياء والمعرفة الظنية بالمحسوسات تقوم الماهيات

---

(1) المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية. تصدير د. إبراهيم مدكور. ص198 مادتى : ميزان وعلم الموازين.

(2) انظر دفاع سقراط فى محاورة الدفاع لأفلاطون، ترجمة د. زكى نجيب محمود، القاهرة، 19 ولمزيد من التفصيل انظر د. محمد على أبو ريان، المرجع السابق من ص110 إلى ص121، ويشاع فى الكتابات أن منهج سقراط يسمى بالتهكم والتوليد، لكن أحرى به أن يسمى منهج النقد مع المجىء بالبديل – أى النقد والتعديل – الباحث.

(3) اسمه الحقيقى أريستوقلس أما أفلاطون فهو كنيته ومعناها ذو الجبهة العريضة ويعد أحكم وأفصح وأعلم أهل زمانه من بيت أرستقراطى، وكاد أن يتخصص فى الكتابة للمسرح لولا التقائه بسقراط فلازمه طوال حياته، صاحب المذهب الفلسفى الضخم، وترك لنا العديد من المحاورات، وتأثر به العديد من الفلاسفة حتى أصبح مذهبهم الأفلاطونية Platonisme انظر د. عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ص157 وما بعدها مادتى أفلاطون والأفلاطونية.

المتحققة فى الأشياء، والماهيات المفارقة للمادة وهى الصور الرياضية والماهيات الأكثر مفارقة وهى المثل Ideas [1] وهى عنده مبادئ المعرفة ومعايير الأحكام، وهنا نجده يتجاوز سقراط من حيث انتهاء سقراط إلى الماهيات المتحققة فى المحسوسات إلى المُثل.

ومن ثم استطاع أفلاطون أن يقضى على نسبية الحقائق فى مجال المعرفة والقيم فى مجالات الحق والخير والجمال ، كما جعل قيمة الأشياء والأفكار ليس فى نتائجها وآثارها وإنما فى ذاتها أى أبطل ما يسمى بالنافع Useful وهو مالا يستمد قيمته من ذاته بل من كونه وسيلة لغيره، واتخذه النفعيون أساساً لمذهب المنفعة وللتفرقة بين الحق والباطل والخير والشر [2].

وكان هذا مبدأ سوفسطائى عمل أفلاطون على إبطاله .

كما عمل أفلاطون على إيجاد التعريف الجامع المانع بلغة المناطقة – وقد كان حُلماً سقراطياً [3].

ذلك أن أفلاطون قد أطلق مصطلح "الجنس" وهو أحد الكليات الخمس عند أرسطو فى ما بعد، إذ ميز أفلاطون ما بين النوع الجزئى والاسم الكلى الذى يطلق عليه وغير محدود ولا موجود فى زمان ولا مكان لأنه معنى أزلى [4].

كما بحث فى معنى الفصل فأورد فى محاورة ثياتيتوس على لسان سقراط أهمية إدراك الصفات الجوهرية المميزة لشىء ما عما سواه. والتى

---

(1) وبشأن نظرية المثل عند أفلاطون ، فقد استعار أفلاطون الفكرة من الفيثاغورية إذ أنهم نظروا للأعداد على أن لها شكل أو هيئة Eidos وتدل عندهم على معنى تضيفى منطقى أى ما يضم مجموعة ما من الأعداد أو الأشياء ثم جعلها أفلاطون مثلاً للأشياء. الباحث – قارن د. أحمد فؤاد الأهوانى ، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، ص 138.

(2) المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية، تصدير د. إبراهيم مدكور، ص 199. مادة نافع.

(3) د. عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ 1، ص.

(4) برتراندرسل، حكمة الغرب، جـ 2 ، ترجمة د.فؤاد زكريا، مطبعة الرسالة، الكويت، 1983، ص 112.

تفصلها عن باقى الأنواع الجزئية الأخرى، والتى يعد إدراكها بمثابة العلم الحقيقى للأشياء [1].

ولا شك أن التعريف بالحد قد قام على الجنس والنوع عند أرسطو.

ومن ثم نستطيع أن نقرر أن أفلاطون أعاد للحقيقة موضوعيتها بعدما جعلها السوفسطائية ذاتية ويعد أفلاطون ذو نزعه منطقية رياضية فقد استخدم المنطق بكل دقة فى ميدان المعرفة، وذلك فى أسلوبه الجدلى المنهجى الذى استخدمه للبرهنة على وجود عالم المثل واستعار الاستدلال الرياضى من الفيثاغورين وطبق منهجه الفرضى وتمسك بدراسة الرياضيات مدركاً أهميتها ولهذا كتب على باب أكاديميته "من لم يكن رياضياً لا يدخل علينا".

القسمة المنطقية عند أفلاطون :ـ

القسمة المنطقية عند أفلاطون تتعلق بالكلى من ناحية الماصدق وبيان الأفراد الداخلة فى نطاق هذا الكلى، وقد جاء بها أفلاطون لبيان تصنيف الكليات التى أسماها المثل مستخدماً منهج الجدل النازل وبذلك فهى تحليل لما صدق الاسم الكلى لبيان الأنواع المندرجة [2] تحته، وبذلك فهى تتصل بالتعريف ذلك الذى يعنى بتحليل ماهية الاسم الكلى.

والمراد فى القسمة ليس ذكر الأفراد التى تخص اسم كلى من الأسماء واحداً واحداً، لكن ذكر الأنواع التى يطلق عليها جنس من الأجناس بالتفصيل.

وعلى ذلك فالقسمة المنطقية عملية تنازلية نبدأ فيها عادة بجنس من الأجناس ونُقسمه إلى أنواعه التى تندرج تحته، ثم نقسم هذه الأنواع إلى أنواع أخرى داخلة تحتها، وهكذا حتى نصل إلى الأنواع الدنيا التى لا يندرج تحتها سوى الأفراد [3].

---

(1) Plato, The Dialogues of Plato, English translation. by Joweet, Tleatetus. 209.

(2) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 96.

(3) د. عوض الله حجازى المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم، ص 41، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1962، ص 90 وما بعدها.

وللقسمة المنطقية مجموعة من الشروط لابد وأن توجد فيها وهى كما يلى:

لابد من وجود أساس التقسيم.

ضرورة تساوى ناتج القسمة مع المقسوم.

ضرورة عدم التداخل بين أفراد المقسوم.

ضرورة التواصل.

والقسمة لابد أن تعتمد على الملاحظة والتجربة واستقراء الحقائق، وهى ذات صلة بمبحث التعريف، لكن أرسطو وصفها بأنها قياس ضعيف، لكنها مؤشر هام للثوابت عند أفلاطون.

3ـ موقف أرسطو من فكرة الثبات :ـ

لقد أفزع أرسطو (Aristotle 384 – 322 ق.م) المغالطات المنطقية والعقلية التى أذاعها السوفسطائيون بين الناس ، ولذلك كتب كتابه تفنيد الأغاليط السوفسطائية [1].

De sophistics Elenchis للرد عليهم، بل يقال إنه كتب منطقه كله لكى يصحح تفكيرهم وقد قسم أرسطو المغالطات إلى مغالطات لغوية ومغالطات غير لغوية والأغاليط اللغوية مصدرها اللغة وأنواعها كما يلى :

1ـ الغموض
2ـ الاشتباه
3ـ الترتيب المبهم للكلمات
4ـ القسمة المبهمة للكلمات
5ـ النبرة الخاطئة
6ـ صورة التعبير

والأغاليط الغير لغوية كما يلى :

1ـ أغاليط بالعرض

(1) Aristotle, The works of Aristotle , vol 1 English translation, under super. - Vision of sir. W.D. Ross. De Sophistics Elenchis, by W.A. Pickared 2nd. Ed, London, 1950.

2- أغاليط استخدام الكلمات بإجمال وتفصيل

3- تجاهل المطلوب 4- المصادرة على المطلوب

5- فساد اللزوم 6- العلة الكاذبة

7- ضم عدة مسائل فى مسألة واحدة [1].

كما أقر أرسطو باستحالة الدراسة المستفيضة للأغاليط وقد حدد أرسطو غاية السفسطة فى ما يلى :

1- تخجيل الخصم 2- ترزيل أقواله

3- الاستهزاء به 4- قطع كلامه والإغراب عليه فى اللغة

5- تجاهل المطلوب :

و هذه أمثلة لما أورده أرسطو قائلاً "والسفسطة قياس ظاهرى لا حقيقى" لكن نظراً لأن مبحثنا فى التصورات الثابتة فسوف نقتصر عليها عند أرسطو :

التعريف أو التحديد :

التعريف Defination باب رئيسى من أبواب المنطق، ويهدف إلى بيان معانى الألفاظ وتحديدها، ومن ثم يُعد بمثابة طريقة يوضح بها الفكر معنى شىء مبهم أو غير معروف، ويتم ذلك بوسائل عديدة يؤدى كل منها نتيجة معينة خاصة بالتعريف ويعد أفضلها ما كان جامعاً مانعاً، كما نادى به سقراط وابتكره أرسطو كما سنعرض له فى ما يلى :

دور أرسطو فى إثراء وتفعيل فكرة الثبات :

لعب أرسطو دوراً خطيراً فى إثراء وتفعيل فكرة الثبات وذلك كما يلى :

(1) Ibid. $166^b - 168^a$.

نظرية المقولات الآرسطية :

لتدعيم فكرة الثبات على المستوى الوجودى والمستوى المعرفى والمنطقى جاء أرسطو بنظريته فى المقولات Categories بهدف تحديد الأجناس العليا للوجود ، أى المجىء بعنوانات ثابتة لكل ما هو موجود، أى لكل ما فى الطبيعة، ومن ثم جاء بالجوهر Substance والأعراض التسعة وفى ذلك يقول "إن أى حد مفرد إما أن يُشير إلى جوهر أو كم، أو كيف، أو علاقة لشىء أو بمكان، أو بزمان، أو بوضع أو بحال أو أن يفعل شىء أو الانفعال بشىء [1].

ومَثُلُثْ هذه المقولات الأجناس العليا العشر للوجود، وهى طبيعية ومنطقية وهى تُعد بمثابة تصوير دقيق معرفى ومنطقى لما هو فى الواقع، وهذا عبارة عن ثبات الأفكار تجاه الطبيعة الثابتة أيضاً.

هذا على الرغم من الانتقادات الحادة التى تعرضت لها المقولات الآرسطية[2].

ولبيان وجه الإفادة من نظرية المقولات ، جاء أرسطو بالمحمولات Predcables or Pridicates الخمس أو الكليات الخمس فى ما بعد، والتى تُعد العناصر المكونة للتعريف، وذلك لأن أرسطو أراد أن يقسم أنواع المحمولات التى تُستعمل فى القضايا الحملية والتى يقول بشأنها : "أننا إذا حكمنا بأى شىء على شىء آخر، والمحكوم به يسمى بالمحمول، فإن المحمول لا يخلو أن يكون واحداً من الآتي".

حداً أى تعريف كامل مثل : حيوان ناطق فى تعريف الإنسان. أو جنس "أى صفة هى جزء من حقيقة المحكوم به عليه وتوجد فيه وفى غيره " مثل : "حيوان فى تعريف الإنسان السابق ".

---

(1) Aristotle, categoria, in the works of Aristotle vol. I under the super vision of sir W.D .Ross English translattion by w.d. Ross ch. 4. I^B.

(2) عن الانتقادات الموجهة لمبحث التصورات الأرسطي قديماً ووسيطاً وحديثاً انظر :
د. زكريا الجالى، الاتجاهات النقدية للمنطق الأرسطى وأهميته، رسالة دكتوراه، بكلية الآداب، جامعة أسيوط 12- 2 م.

فصل بمعنى أن يكون صفة وتكون جزءاً من حقيقة "مثل كلمة ناطق فى التعريف السابق".

خاصة بمعنى أن تكون غير داخلة فى حقيقة الشىء المحكوم عليه، ولكنها تميّزه أيضا مثل "ضاحك" فى تعريف الإنسان بأنه حيوان ضاحك.

العرض العام وهو الصفة الغير جوهرية التى توجد فيه ، وفى غيره مثل" ماش على قدمين " [1].

ومن خلال هذه الألفاظ الكلية المحمولة أمكن لأرسطو تصنيف الكائنات الطبيعية إلى أنواع، وهذه الأنواع تندرج تحت أجناس أعم وهكذا ..

ويكون العلم بنوع من الأنواع، إنما يكون بتعريفه، وتعريفه يكون بذكر جوهره، والجوهر يتألف من الجنس الذى تحته ذلك النوع مُضافاً إليه الفصل الذى يفصله عن بقية الأنواع التى تقع تحت جنس واحد.

لكن كيف يكون التحديد أو التعريف ؟

يرى أرسطو أن ذلك يكون كما يلى :ـ

يجب على من يحد أن يجعل الشىء فى جنسه ثم يضيف إليه الفصول ولتفادى الغموض يرى ضرورة استعمال العبارة التى هى غاية فى البيان لأن الحد يكون لتعريف الشىء.

ينبغى أن لا يتجاوز بالقول إلى مالا يجب ، لأن كل ما يُزاد على الحد فهو فضل [2].

التعريف عند أرسطو :ـ

---

(1) يلاحظ أن فرفوريوس الصورى (+ 303 م) قد نظر إلى محمولات أرسطو باعتبارها أنواعاً للفظ الكلى، واعتبرها أسماءً كلية من حيث النسبة بين كل واحد منها والآخر، وبذلك أسقط الحد مستبدلاً به النوع لأن النوع يمكن اعتباره اسماً كلياً – الباحث ـ.

(2) Aristotle, topica, Book VI (6). Ch 1, 134^{a} .30 in the works of Aristotle. Vol. I.

يُعد التعريف [1] عند أرسطو عنصر ثابت فى تصور الأشياء، بل هو أكثر الأنواع تحديداً لها، ويسمى بالتعريف التحليلى الذى هو عبارة عن التعريف بالحد كما جاء عنده، والتعريف بالرسم كما جاء به جالينيوس الطبيب Galain حوالى 129 – 199م وذلك كما يلى :-

التعريف بالحد عند أرسطو والذى قسمه إلى :

تعريف بالجنس والفصل الموجب

وتعريف بالجنس والفصل السالب

ونلجأ إلى التعريف بالجنس والفصل السالب فى حالة تعذر التعريف بالجنس والفصل الموجب [2].

وعلى الرغم من أن هذه الصور هى صور التعريف كما أبداه أرسطو (وأراده سقراط وأفلاطون كما اتضح بالدراسة كأفكار للتعاريف الثابتة) فإن هذه الصور قد انتهت إلى التعريف بالحد التام ويكون بذكر الجنس القريب + الفصل، والتعريف بالحد الناقص ويكون بذكر الجنس البعيد + الفصل أما التعريف بالرسم Description فقد جاء به جالينوس وهى كما يلى :-

التعريف بالرسم عند جالينيوس :-

قسمه جالينيوس إلى التعريف بالرسم التام ويكون بذكر الجنس القريب + الخاصة، وتعريف بالرسم الناقص ويكون بذكر الجنس البعيد + الخاصة، ومن ثم أصبح من الممكن تناول تعريف كل كلمة وكل شىء فى ضوء هذه النظرية بتعريف ثابت لا يتغيرّ بتغير الزمان ولا المكان وما السفسطة فى

---

(1) زكريا الجالى، الاتجاهات النقدية للمنطق الأرسطى، ص 7.

(2) هذا الوضع على الرغم من أن الاتجاه بدلاً من أن يؤدى إلى تنمية القدرات من أجل اكتمال الذات حتى يكون إنساناً منتجاً مثمراً فى حد ذاته، فانه يؤدى إلى المنفعة : انظر :د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، الفلسفة على شجرة المستقبل، دار الثقافة، القاهرة 2001، ص15 وما بعدها.

التعريف إلا الخروج عن هذا الإطار، كما أنها تتويج لأفكار الثبات بدءاً من بارمنيدس (فى الطبيعة) وسقراط وأفلاطون فى المعرفة وصولاً إلى أرسطو وجالينيوس (فى المنطق).

ثالثاً : المنطق البراجماتى عند ديوى فى ضوء الثوابت والمتغيرات (التصورات والمفاهيم) :-

ما سبق هو النظريات المنطقية فى التصورات تحديداً وتعريفاً، رأينا فيه أفكار التغيّر والنسبية، ورأينا فيه أفكار الثبات والمطلق، ولنتسائل إلى أى الفريقين ينتمى المنطق البراجماتى ؟

وبانتمائه إلى أى منهما فما موقفه من النظرية المقابلة ؟

وما هو البديل التصورى لديهم ؟

وسوف نجيب عن هذه التساؤلات متخذين ديوى نموذجاً وذلك كما يلى:-

يُعد المنطق البراجماتى pragmatical logic أساس التفكير لدى الأمريكان، بل هو المنطلق المنهجى لهم فى شتى نواحى الحياة، وقد حمل فى جوهره بذور التقدم فى مختلف الجوانب مما عمل على تفوق وتقدم معتنقيه، نظراً لأن هدفه عملى فى المقام الأول ويتسم بالنفعية لكن هو معهم فى الحاضر نحو المستقبل. والبراجماتية pragmatism لفظ قديم استعمله تشالرزبيرس Charles. S. peirce فى أخريات القرن التاسع عشر، وأراد به أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا مجرد التأمل النظرى.

كما أن البراجماتية مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو فى قيمة عواقبها وأثارها عملياً، والمعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة، وله صور فى الفلسفة والتربية والدين والأخلاق والاجتماع والسياسة وكافة المجالات فى الحياة.

والبراجماتى pragmatical بوجه عام عبارة عن وصف لكل ما يهدف

إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة، وعند كانط I.kant + 1804م التاريخ البراجماتى Historie pragmtique هو ما يرمى إلى كشف المستقبل فى ضوء الحاضر، وعنده أيضاً الاعتقاد البراجماتى La croyance pragmatique هو التسليم بأمر لضرورة عملية مثل محاولة طبيب ما تشخيص المرض بصورة مبدئية [1]. وللبراجماتية أداة أو أدوات إذ أنها ذات طابع أداتى Instrumentalism ذرائعى، وهو ضرب من البراجماتية قال به ديوى J.Dewey 1859 – 1952م والذى يتلخص فى أن المعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة [2]. والذريعة هى الوسيلة، وجمعها ذرائع، والذرائعية هى مذهب جون ديوى والذى يقرر أن الأفكار والنظريات والمعارف والنتائج والغايات تعد وسائل وذرائع دائمة لبلوغ غايات جديدة، وتهدف إلى تعديل وتوضيح المعايير، والمعارف دوماً فى ضوء الخبرات المتراكمة، أى أنها ذرائع لمزيد من العمل [3].

والعلة الذرائعية هى العلة الأداة لإحداث النتيجة، وهذا ما حدث بالفعل من استغلال المواقف الدولية والأحداث كذرائع للتدخل فى شئون الدول الداخلية، والذرائعية لا تفترق عن السفسطة القديمة إلا فى المزيد منها كما هو واضح من الدراسة .

والمنطق الذرائعى هو الذى يبنى أحكامه على التجربة، وإن كان من المسوغ له أن يلجأ إلى الاستدلال، لكنه فى كل الأحوال وسيلة العقل لتحصيل

(1) المعجم الفلسفى الصادر عن مجمع اللغة العربية، تصدير د. إبراهيم مدكور الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، 1983م، ص31 مادتى : براجماتية وبراجماتى، ويلاحظ أن ثمة خطأ مطبعى فى المعجم وهو فى كلمتى برجماتية وبرجماتى بهذا الرسم فى حين أنهما كما ذكرت مشيراً إلى المادتين، وذلك نسبة إلى اللفظ الأجنبى Pragmatism لأنهما من المعربات : قارن : د. زكى نجيب محمود، فى تقديمه لترجمته: جون ديوى، المنطق : نظرية البحث، ص12.

(2) المعجم الفلسفى، ص5، مادة أداتية.

(3) د. عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ1، ص623 مادة الذريعة وتصدق أفعال السياسة الأمريكية فى القرن الواحد والعشرين هذا المذهب الدليل على ذلك استقلال للأحداث للفتك بالدول الإسلامية أفغانستان والعراق وفلسطين.

المعرفة وإثرائها بالخبرة التى تعدل من المعلومات السابقة وتضيف إليها، وتمنحه فى النهاية اليقين، وتنقله إلى مرحلة الاعتقاد [1].

والمنطق البراجماتى عند ديوى والذى يرى " أن البراجماتية إذا نظرنا إليها نظرة تؤلها تأويلاً سليماً، وأعنى به استخدام النتائج على أنها اختبارات، لابد منها للدلالة على صدق القضايا بشرط تناولها من حيث هى عمليات يمكن إجراؤها ومن حيث كونها وسائل تؤدى إلى حل المشكلة الخاصة التى قد استدعت تلك الإجراءات [2].

ويرى الدكتور زكى نجيب محمود أن البراجماتيين من ألصق الجماعات الفلسفية المعاصرة بتيار العلم، والبراجماتية تعد مذهب أو تيار جديد فى المنطق نظراً لأن ديوى عندما كتب مؤلفه المنطق: نظرية البحث logic : The theory of inquiry أراد أن يعارض بها سائر النظريات المنطقية قديمها وحديثها، وتكمن الخلافات النقدية بين أصحاب المذاهب الأخرى والمنطق البراجماتى الجديد فى النقاط التالية :

كان أصحاب المذاهب الأخرى يبحثون عن الحق الثابت الذى لا يتغير بتغير الزمان والمكان فى حين أن البحث inquiry فى المنطق الجديد بمعناه الاصطلاحى غير موجه إلى الحق الثابت. الذى هو أساس العلم القديم، ومن ثم أساس المنطق، لكن عبارة عن مجموعة من العمليات الموجهة التى يؤديها الإنسان ليحول موقفاً غير متعين إلى موقف معين أى محدد، ومن ثم فإن الإنسان لا يفكر أو لا يبدأ إلا مع وجود موقف مشكل، أى يحتوى على إشكال ما، يحدث التنافر بين عناصره، فيحاول أن يدخل فيه من التغيير والتحوير ما يزُيل عنه ذلك التنافر ويجعل منه موقفاً محدد المعالم موحد العناصر محلول الإشكال وعلى هذا فليس من الفكر ما لا يبدأ بمشكلة معينة وينتهى بحلها، والكلام الذى يقال دون أن يكون أداة تغيّر بها جوانب الموقف المشكل تغيراً

(1) نفس المرجع السابق، ص 623.

(2) جون ديوى، المنطق : نظرية البحث، ترجمة د. زكى نجيب محمود، ص102.

يفض إشكاله لا يكون من المنطق فى شىء [1].

انصبت اهتمامات المذاهب المنطقية الأخرى منذ أرسطو فنازلاً فى التماس الشروط التى تجعل قضية ما صادقة، لدرجة أن أرسطو ـ ومن تابعه ـ عرف القضية بأنها الجملة الخبرية التى تحتمل إما الصدق أو الكذب، ومن ثم أخرج من مجال القضايا جمل التمنى والأمر والرجاء والدعاء والاستفهام نظراً لعدم إمكانية وصفها بالصدق أو بالكذب، لكن اهتمام المنطق البراجماتى يختلف عن هذه المذاهب المنطقية القديمة والمعاصرة، فالقضايا عنده وسائل لإحداث تغيير فى موقف مشكل، فالقضية يجب أن تكون ذات مهمة أدائية فى عملية البحث، ومن ثم فالقضايا وسائل كالعدد والآلات لا توصف بكونها صادقة أو كاذبة بقدر ما توصف بأنها مؤدية أو غير مؤدية.

المنطقى وغير المنطقى مفهوم جديد :ـ

الكلام المنطقى القديم والتقليدى والمعاصر ارتبط بالقضية إما تحليلاً ليؤدى إلى الحدود، أو تركيباً (القياس والاستدلال) فإن هذه القضايا قد توصف بالصدق أو بالكذب، بناء على إما الاتساق الداخلى مثل القضايا التحليلية فى الرياضيات والتى تعد تحصيل حاصل أو بناء على الصدق الواقعى (مثل القضايا التجريبية أو التأليفية) والكلام الذى طابع قضاياه الصدق الصورى أو الواقعى هو الكلام المنطقى وحده، هذا فى النظريات المنطقية السابقة.

لكن فى المنطق البراجماتى يختلف، لأن الأمر فى أى كلام كالأمر فى الخرائط الجغرافية، فالخريطة لا تكون جديرة باسمها ما لم تصلح لأن توجه السائر فى طريق من شأنه أن يؤدى به إلى غاية يريدها [2].

لكن إذا ما رسم رسام الخرائط خطوطاً هنا وخطوطاً هناك تتخذ

---

(1) نفس المصدر، ص 14.

(2) نفس المصدر، ص 14، ص 15.

شكل الخريطة، دون أن يكون لها جانب أدائى فى توجيه الإنسان إزاء الرقعة المرسومة، فذلك لا يكون من الخرائط الصحيحة فى شىء فالكلام المنطقى هو كل كلام ننظر فيه لنرى أنه هل يؤدى إلى تقدم السير فى عملية البحث على نحو ينتهى بنا إلى حل نراه ناجحاً. فى فض المشكلة المطروحة للبحث ؟ أم هل يعوق عملية البحث لنتجنبه ؟

ولعل هذا المنهج يتشابه مع البحث النقدى عند كارل بوبر، الذى يُعد محاولة وخطأ لتجنب الخطأ ونأخذ بالصواب .

وقد ضُرب مثلاً على ما ينبغى أن يكون عليه البحث الحقيقى، لا فى الصورة فقط لكن فى الجانب المادى أيضاً وهذا ما أغفله المنطق الصورى، والمثال بشأن القياس الأتي وهو صحيح صورياً كاذب مادياً وهو نعرضه كما يلى:

كل توابع الشمس مصنوعة من جُبن أخضر

القمر هو أحد التوابع

إذن القمر مصنوع من جُبن أخضر[1].

والقياس هنا من وجهة النظر البراجماتية معوق فبدل من أن يدفع عملية البحث إلى الأمام نحو حل إشكال معين، فإنه يعوق عملية البحث ويضللها.

4- العمليات الفكرية القديمة غير ذات نفعُ ينبغى أن تُستبدل بنظرية البحث، ذلك لأن الفكرة لا تكون فكرة، ما لم تؤد إلى إحداث تغيير، وتحول فى مادة الوجود الخارجى، مما يحقق هدفاً مقصوداً.

5- التسلسل مفقود فى المذاهب المنطقية العقلية والتجريبية، لكنه موضوع فى الاعتبار فى المنطق البراجماتى، إذ أن القضية لا ننظر إليها منفردة فى المنطق البراجماتى، ولكنها خطوة وسطى فيه هى دائماً وسيلة إلى

(1) جون، ديوى، المصدر السابق، ص 16.

ما بعدها، وما لا يصلح أن يكون كذلك ليس من المنطق فى شئ، بناء على نظرية البحث كما يعرضها جون ديوى.

بهذا الفهم الجديد جاء المنطق البراجماتى عند ديوى والبراجماتيين، لكن ما هو موقف ديوى من المفاهيم الثابتة هذا ما سنتناوله كما يلى :ـ

موقف ديوى من المفاهيم الثابتة :ـ

لقد اعتنت البرجماتية منذ رائدها الأول تشارلز بيرس مروراً بوليم جيمس W. James إلى جون ديوى بمسائل المنهج والاعتقاد والحقيقة والمعنى وغيرها مما يعد ذو علاقة مباشرة أو غير مباشرة بمباحث المنطق، ومن ثم اعُتبرت البراجماتية منهجاً فى التفكير أكثر منه مذهباً فلسفياً، أى أنها قاعدة فى المنطق تُستخدم فى تحديد معانى الألفاظ والمفاهيم، ومن ثم بطل استعمال معيار التعريف والتحديد القديم ومثال ذلك عنها أعلن بيرس: أن قيمة أى تصور أو مفهوم لشىء ما يكمن فى تأثيراته الحسية أو العملية وما عداها يُعد خداع [1]".

وعلى ذلك فالمنطق علم قائم على الخبرة مثله مثل العلوم الطبيعية [2]، والخبرة فى المنطق البراجماتى متصلة، كما أن القضية خطوة وسطى فى مجال البحث، وعلى ذلك أطاح ديوى بالتصورات الثابتة والمفاهيم الراسخة، كما أنه لا فرق بين النظر والعمل أو التطبيق، وخاصة فى صيغته الأرسطية، فلا فصل بين صورة المنطق ومادته، والمنطق الأرسطى غير قابل للتطبيق الآن نظراً لارتباطه بالثقافة العلمية اليونانية، التى تختلف عن الثقافة العلمية السائدة الآن، وهذا يعنى أنه كلما تغيرت الظروف يتحتم كذلك أن تتغير الصورة المنطقية، وهذا يؤكد أن منشأ المنطق الخبرة وهو خاضع للتغيير والنسبية، ومن أهم المتغيرات التى تغيرت من زمن أرسطو طبيعية العلاقة

(1) محمد جديدى، المنطق الأداتى عند جون ديوى .، ص 39.
(2) جون ديوى، المصدر السابق، ص 111.

بين الطبيعة والمعرفة، وتصور الكم والكيف، والعلاقات والغائبة والتغيّر [1]، فبخصوص علاقة الطبيعة بالمعرفة فقد جرت عادة التفكير اليونانى إلى تقسيم الوجود إلى ثابت ومتغير [2] كما اتضح بالدراسة، فالفكرة المعرفية والمنطقية جاءت موزعة ما بين الثبات والتغير، وهكذا نجد البراجماتية ينتصرون للتغير، ومن ثم أطاحت البراجماتية بالثوابت من المفاهيم والتصورات مثلما فعلت السوفسطائية قديماً، وكذا لم يقتصر الأمر على الحدود والتصورات، إذ تعداه إلى القضايا والقياس.

النتائج المترتبة على المنطق البراجماتى فى الحياة المعاصرة :ـ

فى الواقع أنه باستعراض النتائج المترتبة على تطبيق المنطق البراجماتى فى الحياة المعاصرة نجد ما يلى :ـ

المنطق البراجماتى أداه Tool تعمل على التقدم المعرفى والعلمى والتكنولوجى والبيئى والاقتصادى مما جعله منطق للاستخدام Logic for use، لكن أفته الكبرى هو الانتقال إلى مجالى الأخلاق والسياسة حتى غدت السياسة الدولية به سياسة بلا أخلاق، فى حين أنه عمل على التوازن فى السياسة الداخلية لديهم، وهو منطق يدعم المنطق السوفسطائى ويطوره بحسب نوع التطبيق فيه وكما أن من الممكن أن يتخذ نموذج ومنهج للتقدم شريطة [3] أن تكون "براجماتية معدلة" (ويمكن أن تبحث فى ما بعد).

---

(1) محمد جديدى، المرجع السابق، ص 42.

(2) يرى الباحث محمد جديدى أن القسمة للوجود جاءت وجود أعلى ووجود أدنى، لكن هذا الكلام تعوزه الدقة لأن القسمة بدأت فى كيفية تفسير الوجود وجاءت إما بالثبات أو التغير، قارن نفس المرجع، ص 42.

(3) ديفيد، ومارسيل، فلسفة التقدم، ترجمة خالد المنصورى، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987، ص145 وكذلك محمد جديدى، المرجع السابق، ص40، وإن كانت توجد بعض التحفظات فى هذا المجال وهؤلاء أخذ بالبراجماتية مع الضوابط الأخلاقية مضافاً إليها الثوابت فى الحق والأخلاق ومما ساعدهم (ونجاحه ديوى) على القول بالتغيّر هو كتاب أصل الأنواع لتشارلز داروين 1850.

لإنجاح المنطق البراجماتى والبراجماتية تجنب ديوى استخدام الكلمة فى كتابه المنطق : نظرية البحث : "حتى لا يساء الفهم ولا تؤل الكلمة تأويلاً غير سليم مما جعله يتجنب استعمالها [1] ثم عندما ظهرت الكلمة pragmatism البراجماتية وينتج عنها سوء فهم فى إدراك معناها الحقيقى، وهو الذى جعل "بيرس" يستعيض عنها بكلمة pragmaticism البراجماتكية، واستبدلها ديوى بالوسيلية Instrumentalism ومن ثم عرف منطقه بأنه تجريبى وأداتي أى وسليتى، أو منطق للاستعمال logic for use، والوسيلة عند ديوى :

عبارة عن محاولة لتكوين نظرية منطقية دقيقة للمدركات العقلية والأحكام والاستنباطات فى شىء صورها، وذلك عن طريق البحث أولاً فى الكيفية التى يؤدى بها الفكر وظيفته فى التحديد التجريبى للنتائج المستقبلية [2]".

لكن هل أصاب ديوى القلق من الازدراء والاحتقار من الاسم كما حدث السوفسطائية من قبل؟ على الرغم من التشابه الجوهرى بينهما – فالبراجماتية فى بعض جوانبها وتطبيقاتها سفسطة معاصرة بل تطوير للسفسطة القديمة وإن كان الأمر غير ذلك فلماذا التخفى والبعد بالأشياء عن مسمياتها الحقيقية [3]؟

3ـ مسألة التحديد :

على الرغم من أن البراجماتية تنادى بضرورة تعيين وتحديد الموقف

(1) جون ديوى، فهم البراجماتية الأمريكية، المتضمنة فى: داجوبرت، د. رتين، فلسفة القرن العشرين، مجموعة مقالات فى المذاهب المعاصرة، ترجمة عثمان نويه، مؤسسة سجل العرب القاهرة، 1963، ص 244.

(2) ربما تأتى دراسة مستقبلية للباحث أو لغيره لحسم هذه المشكلة.

(3) ميخائيل جورباتشوف، البيريسترويكيا براجماتية فى ثياب ماركسية ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد، ضمن الفلسفة على شجرة المستقبل، دار الثقافة، القاهرة، 1997م، ص 86 وما بعدها.

المشكل والعمل على حله ـ وهذا هو جوهر نظرية البحث عندهم (ديوى) ـ إلا أن مسألة تحديد معانى الألفاظ ما زالت مسألة وسيلة عندهم بمعنى أن الغاية تبرر الوسيلة، فتعريف كلمات مثل العولمة والإرهاب، والعدو والصديق، الاحتلال، صاحب الحق، والمعتدى، والظالم والمظلوم والمفترى والمفترى عليه والعدل والظلم والخراب والإعمار لم تحسم بعد، ولن تحسم فى ظل البراجماتية لأنها تعنى ضمن ما تعنى تحقيق مصلحة الأقوى، بعد ما أصبحت القطب الواحد فى العالم، فالعولمة هى تحقيق مصالحهم فى العالم دون نظر لمصالح الآخرين، والإرهاب هو الفعل الناشئ عن المعارضة للمصالح الأمريكية والذى إذا فعل كما يفعلون لكى يحافظ على مصالحه، اعتبروه عدواً لهم، وذلك مثل الصراع بين أمريكا والاتحاد السوفيتى الأسبق الذى أخذ وقتاً طويلاً فى القرن العشرين، ثم جاء الصراع الأمريكى الإسلامى، ولا عجب لديهم فصديق اليوم هو عدو الغد أو صديق الأمس هو عدو اليوم كما هو الحال مع الرئيسى العراقى السابق صدام حسين، فهو صديق الأمس ليتصدى لإيران حتى لا تمتد الثورة الإيرانية إلى العالم العربى، ثم أصبح عدو فما الذى حدث؟

لا ثوابت لأن التقييم عندهم طبقاً للمصلحة الخاصة بهم ويدور معها وجوداً وعدماً، وبالتالى لإثبات للمفاهيم والتصورات، كما أن من ضمن سياسة البراجماتية إيجاد العدو لكى يحفز على التفوق.

لكن على الرغم من كثرة الحديث السياسى والإعلامى والدولى عن الإرهاب فلم يؤت للآن بتعريف جامع مانع بلغة المناطقة الذى يكون عن طريق ذكر الجنس + الفصل وهو التعريف بالحد، واقترح أن يكون التعريف التالى :

الإرهاب = الاعتداء (على الآخرين) دون وجه حق.

ذلك لأن تعريف الإرهاب اتسم بالطابع البراجماتى لدى كل من الساسة والقانونيين [1] وذلك انطلاقاً من مصالح معينة.

(1) قارن : د. نبيل لوقا بيباوى، الإرهاب صناعة غير إسلامية، دار البيباوى للنشر، القاهرة، 2002م، ص56. وعلى الرغم من أهمية هذا الكتاب إلا أنه احتوى على الكثير من الأغاليط التاريخية والفكرية – الباحث.

هكذا يمكن أن نعرف باقى الكلمات تعريفاً جامعاً مانعاً احتكاماً إلى الثوابت على المستوى العلمى والواقعى والمنطقى الأخلاقى، أما تعلل ديوى بالتغيرات الثقافية والعلمية والتطور لدى داروين، فإن الطبيعة تشهد بالقول بالثوابت فى أشياء، وتداخل المفهومين معاً لأن التغيرات نفسها لابد وأن تدور فى عجلة الثوابت والمتغيرات فى أشياء ومن يصر على غير ذلك فإنها السفسطة القديمة فى ثوب عصرى.

مشكلة الذرائع التى قال بها ديوى عبارة عن الوسيلة المُشَكِلةً للبحث أو الأدوات فالوسيلة فى جوهرها نظرية منطقية من جهة كونها تبحث عن الصور المنطقية التى تعتمد كوسائل تحقق التوازن للكائن البشرى فى علاقته بمحيطه.

هذا فى نظرية البحث، لكن التطبيق الأمريكى المعاصر (ق 21م) هو تحديد الغايات ثم إيجاد الذرائع للتدخل المباشر مثل موضوعات أفغانستان والعراق بناء على أحداث 11 سبتمبر 2001م والموقف من ليبيا وسوريا والسودان وغيرهم من الدول.

كما أن إسرائيل تنتهج بالإضافة إلى البراجماتية بروتوكلات حكماء بنى صهيون وتاريخ اليهود الملىء بالأخطاء والألاعيب وهكذا أصبحت العداوة عربية إسلامية الآن.

ولا نريد أن نستطرد فى ذلك، فهذا القدر من الأمثلة يُعد كاف للتدليل على أن البراجماتية المطبقة مع العرب والمسلمين هى سفسطة معاصرة مثل القديمة سواء بسواء فهل يدرك العرب هذا ؟

وإن لم يدركوا فمتى يتم ذلك ؟

وإن لم يتم فماذا يحدث ؟

سيحدث أن يتأمرك العالم الإسلامي والعربى وعلى حسابهم الخاص، فالبراجماتيون " الأمريكان " هم المستخرج والخازن والمحاسب والقاضى المتصرف فى الأموال، وراسم الخطط المستقبلية، أليست هذه هى البراجماتية الأمريكية أى السفسطة المعاصرة.

رابعاً : تعقيب :-

من خلال دراسة هذا الموضوع نستطيع أن نقرر النتائج الآتية :-

1- تثبت هذه الدراسة كيف انطلقت الأفكار المعرفية والمنطقية من فكرتين أساسيتين فى تفسير الطبيعة وهما فكرتا الثبات والتغير.

2- إن القائلين بالثبات لم تتغير مواقفهم منذ القدم إلى الآن سواء على المستوى الطبيعى أو المعرفى والمنطقى، لأنهم أدركوا كنه وحقيقة الأشياء.

3- السوفسطائية القديمة لم تكن وفية لمصادرهم كما فعلوا مع هيرقليطس إذ أخذوا منه ما يؤيد وجهة نظرهم فقط.

4- تصحح هذه الدراسة مفهوم ولترستيس عن السوفسطائية إذ يعدهم مجموعة أفراد لا يشكلون مذهب ولا ظاهرة.

5- إن الإطار الفيزيقى والمعرفى والمنطقى لا يسمح بالفصل بين فكرتى الثبات والتغير، لأن الواقع يشهد بدوران التغير فى فلك الثبات.

على العالم العربى والإسلامى إدراك كيف يفكر الآخرين، وأنه بضياع العراق وفلسطين ستصل عدد الدول الضائعة إلى ست دول وهى أسبانيا والبرتغال وأفغانستان والعراق وفلسطين والسودان، فضلاً عن بث روح الفرقة بين الدول العربية والإسلامية والعمل على تشكيل تحالفات واتحادات لديهم فهل الوحدة الفيدرالية لديهم (51 ولاية) والتحالفات مع حلف شمال الأطلنطى (الدول الأوربية) تجربة جيدة لتعمم لدينا ؟؟

أما أن الوحدة مفيدة لهم والفرقة لنا ؟!!

6- لماذا لا تفكر الدول العربية الإسلامية فى تبنى منطق أو منهج مقاوم لهؤلاء أو على الأقل أيدلوجية.

7- لماذا لا يكون لدينا أفكار تنبع من أفكار الثبات والتغيّر لنقاوم بها منطلقاتهم الفكرية.

خامساً :- مصادر البحث والترجمة

أولاً : المصادر العربية والمترجمة إليها.

أرسطو:

1- المقولات (ترجمة إسحق بن حنين)

2- العبارة الترجمة العربية القديمة تحقيق د. عبد الرحمن بدوى، جـ 1 ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، 1948 م

أفلاطون :

3- أوطيفرون والدفاع والمأدبة، ترجمة د. زكى نجيب محمود، القاهرة.

جور باتشوف (ميخائيل):

4- البيريسترويكا تفكير جديد لبلادنا والعالم، ترجمة حمدى عبد الجواد، 1990، عرض : مجاهد عبد المنعم مجاهد ضمن كتابه الفلسفة على شجرة المستقبل، دار الثقافة، القاهرة، 2000 م.

ديوى جون :

5- المنطق : نظرية البحث، ترجمة وتصدير وتعليق، د. زكى نجيب محمود، دار المعارف، مصر، 1960 م.

هيرقليطس :

6- جدل الحب والحرب، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، 1980 م.

ثانيا: المصادر الأجنبية :

Aristotle

7- De Sophistic .Elenchis

8- Topica In the works of Aristotle, English translation, vol, I , by w. A. pickard

9- Categoria . En .Trans . by E.M Edghil under editorswp of sir W. David Ross .Oxford univirsty Press London . 1950. Plato.

Plato:

10- Thetetus & 11- Republic in the dialogues of palto, English translation .by Jowett , 3 nd , ed oxford unvirsity press.

ثالثاً : المراجع العربية والمترجمة إليها :-

12- تاريخ الفكر الفلسفى من طاليس إلى أفلاطون جـ1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م .أبو ريان (د. محمد على)

13- الإرهاب صناعة غير إسلامية، دار البيباوى للنشر، القاهرة 2002 . بيباوى (د. نبيل لوقا).

14- شروح الفارابى على كتب أرسطو المنطقية وأهميتها رسالة ماجستير، غير منشورة كلية الآداب – جامعة طنطا، 1997م. الجالى (د. زكريا منشاوى).

15- الاتجاهات النقدية للمنطق الأرسطى وأهميتها، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة أسيوط، 2001م الجالى (د. زكريا منشاوى).

16- المنطق الأداتى عند ديوى، ضمن : مدخل إلى فلسفة العلوم دراسات ونصوص إشراف د. الزواوى باغورة – تونس، 2000 م.

17- المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم، جـ6، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1962م .حجازى (د. عوض الله).

18- فلسفة التقدم، ترجمة خالد المنصورى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987. ديفيد (ومارسيل).

19- حكمة العرب، جـ 2، ترجمة د. فؤاد زكريا، مطبعة الرسالة، الكويت، 1983م. رسل (براتراند).

20- تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1987م. ستيس (ولتر).

21- مع الفيلسوف، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1987م. الفنـــــدى (د. محمد ثابت).

22- الفلسفة الخلفية نشأتها وتطورها، دار النهضة العربية، ط4، القاهرة، 1979م الطويل (د. توفيق).

23- تاريخ الفلسفة اليونانية، دار المعارف، القاهرة، 1976 م كرم (أ. يوسف).

24- نحو رؤية جديدة للتاريخ الفلسفى باللغة العربية، مكتبة مدبولى، ط 1 ، 1993 م النشار (د. مصطفى).

25- ترجمة فليب ويلرايت ضمن كتابه هيراقليطس فى العالم اليونانى، والذي ترجمه د. محمد على أبو ريان (وأخرين) وأورده ضمن كتابه تاريخ الفكر الفلسفى جـ1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991م هيرقليطس، الشذرات.

رابعاً : المراجع الأجنبية

Burnet (J) 26 Early Grek philosophy 2 nd .ed .London .1909

Breher (E) 27 History De la philosoply Part I

Freeman (K) 28 Ancilla to pree socrat Philoso phers

خامساً : الموسوعات والمعاجم :

الحفنى (د. عبد المنعم)

29- موسوعة الفلسفة والفلاسفة، جـ1، جـ 2، مكتبة مدبولى، ط2، 199م.

عبد الله (د. محمد فتحى)

30- معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلوم للألفاظ العربية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية، دار الوفاء، الإسكندرية، 200 م.

مجمع اللغة العربية

31- المعجم الفلسفى، تصدير د. إبراهيم مدكور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1993 م.